مفاهيم تربوية

في

قصة يوسف عليه السلام

لسماحة آية الله العظمى
السيد كاظم الحسيني الحائري دام ظله

www.ketab.ir

قم، خيابان ارم، ساختمان ناشران، طبقه همكف، دارالبشير، تلفن: ۷۸۳۰۲۹۰

- اسم الكتاب ..... مفاهيم تربويّة في قصّة يوسف عليه السلام
- تأليف .. سماحة آية الله العظمى السيّد كاظم الحسينيّ الحائريّ (دام ظلّه)
- الناشر ..... دارالبشير
- الطبعة وتأريخ الطبع ..... الأُولىٰ / ١٤٢٩هـ.ق
- الكمّيّة ..... ٣٠٠٠ نسخة
- المطبعة ..... خاتم الانبياء ـ قم
- الشابك ٧ـ٣٨ـ٨٣٧٣ـ٩٦٤ـ٩٧٨

إصدار مكتب سماحة آية الله العظمىٰ السيّد كاظم الحسينيّ الحائريّ (دام ظلّه)

«حقوق الطبع محفوظة للمؤلّف»

www.ketab.ir

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة حول الكتاب

كان ولا يزال دأب سماحة المرجع الدينيّ آية الله العظمىٰ السيّد كاظم الحسينيّ الحائريّ(دام ظلّه) علىٰ مواكبة حركة الأُمّة علىٰ صعيدها الفكريّ والتربويّ والسياسيّ، وترصّد منعطفات سيرها في حركتها في الميادين الحياتيّة، كما هو ديدن المرجعيّة الرشيدة اليقظة التي تصدّت للعمل الاجتماعيّ وقادت التحرّك السياسيّ للأُمّة في العقود الأخيرة وقدّمت لذلك حياتها الشريفة ثمناً.

فكان يختار في كلّ مقطع ومفصل من مفاصل حركة الأُمّة وتفاعلاتها وبوحي من ترصّده ذاك نوعاً من المحاضرات والكلمات والبيانات والمواقف وبجرأة منقطعة النظير شهد بها القريب والبعيد، يملأ بها مناطق الفراغ ويسدّد مناطق الخلل والاعوجاج ويرسم الخطوات المستقبليّة للأُمّة في حركتها المتنامية.

وهكذا سار الأمر وعلىٰ مرّ أكثر من عقدين من الزمن برغم مشاغل سماحته وهمومه، فأنتجت تلك الحركة الواعية المصرّة علىٰ

www.ketab.ir

المداومة رصيداً فكريّاً وتراثاً تربويّاً غنيّاً. وتمكّن الإخوة العاملون في مكتب سماحته ـ بتوفيق من الله تعالىٰ ـ من إعداد بعض من ذلك التراث الضخم ونشره، والمتمثّل بكتاب الإمامة وقيادة المجتمع، وكتاب المرجعيّة والقيادة وغير ذلك.

عزيزي القارئ:

الكتاب الذي بين يديك وهو: (مفاهيم تربويّة في قصّة يوسف عليه السلام) جزء آخر من ذلك التراث، وهو عبارة عن محاضرات تربويّة مستقاة من قصّة يوسف عليه السلام ألقاها سماحة السيّد المرجع (دام ظلّه) في ليالي الجمعة من علىٰ منبره المبارك في مكتب سماحته إلىٰ عموم الناس من طلبة الحوزة العلميّة والمثقّفين وغيرهم في قم المقدّسة، وقد فرغ سماحة السيّد المرجع (دام ظلّه) من تدوين تلك المحاضرات بتأريخ ٢١ / صفر / ١٤٢٧ هجري كما هو مثبّت بخطّه الشريف في النسخة الخطّيّة.

وقد أسهم المكتب تيسيراً لاستفادة العموم من هذا السفر المبارك ببعض الأعمال وهي:

١ ـ تقطيع البحث إلىٰ مقاطع واختيار عنوان مناسب لكلّ مقطع يحكي محور البحث في ذلك المقطع.

٢ ـ وضع علامات الترقيم في موضعها كالنقطة والفارزة.

www.ketab.ir

٣ ـ بما أنّ سماحة المؤلّف (دام ظلّه) لم يكن بصدد التفسير التجزيئيّ للسورة التي حكت قصّة يوسف عليه السلام، وإنّما كان يريد عرض الأفكار والمفاهيم التربويّة التي حوتها السورة، ترك بيان معاني بعض المفردات أو المقاطع ممّا قد يصعب فهمه على عامّة القرّاء الكرام، فأدرك المكتب أنّ وجود توضيح مختصر لمعاني تمام آيات القصّة يكون مفيداً في حدّ ذاته من ناحية ويكون عوناً على تجاوز الصعوبة المشار إليها من ناحية أُخرى، فعمد إلى ذكر ذلك التوضيح في هامش الكتاب معتمداً على بعض التفاسير كتفسير الميزان والأمثل وإن كان معظم الاعتماد على تفسير الميزان.

٤ ـ ترجمة ما ذكره سماحة المؤلّف (دام ظلّه) من الأبيات الشعريّة باللغة الفارسيّة إلى اللغة العربيّة، ووضعها في هامش الكتاب.

٥ ـ تخريج بعض المصادر، وتطبيق ما نقل عن تفسير (نمونه) على الترجمة العربيّة للتفسير، وهي تفسير الأمثل تسهيلاً للقارئ العربيّ إذا أراد مراجعة المصدر.

لذا فإنّ كلّ الإضافات المذكورة في هامش الكتاب من تصرّف المكتب، إلّا ما ذُيّل بعبارة (من المؤلّف دام ظلّه) للإشارة إلى أنّه كلام يعود لسماحته.

www.ketab.ir

نسأل الله تعالىٰ أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، وينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتىٰ الله بقلب سليم، وآخر دعوانا: أن الحمد لله ربّ العالمين.

مكتب

سماحة آية الله العظمىٰ السيّد الحائريّ (دام ظلّه)

www.ketab.ir

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّىٰ الله علىٰ محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، واللعن علىٰ أعدائهم أجمعين.

﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾[1].

صدق الله العليّ العظيم

كان هذا خطاباً ليوسف من قبل إخوته من غير أُمّه قبل أن يعرفوه وقد ألمّت بهم وبعائلتهم شدّة القحط.

ونحن اليوم نخاطب بتلك الكلمات من نسمّيه تارةً بيوسف فاطمة، وأُخرىٰ بيوسف الزهراء سلام الله عليه وعليها، وقد مسّنا وأهلنا الضرّ في العراق، حيث هبّت فيه عواصف الشرّ، وتكالبت عليه قوىٰ الاحتلال والإضلال، فرفعت فيه ألوية التكفير، وقرعت طبول الفتنة

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٨. والبضاعة المزجاة: المتاع القليل.

www.ketab.ir

الطائفيّة والفرقة القوميّة بعد أن احتلّت قوىٰ الشرّ بلاده ونهبت خيراته. فـ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

والذي يخفّف عنّا وطء المصيبة وهول الواقعة إيماننا بـ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[١]، و﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[٢]، و﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٣].

هذا، وإيماننا بظهور فرقان آل محمّد صلى الله عليه وآله المنقذ المنتظر (عجّل الله فرجه) يحيي في نفوسنا: أنّ ليل الشرّ لقصير:

خروج إمام لا محالة خارج
يقوم علىٰ اسم الله والبركات
يميّز فينا كلّ حقّ وباطل
ويجزي علىٰ النعماء والنقمات
فيا نفس طيبي ثمّ يا نفس أبشري
فغير بعيد كلّ ما هو آت[٤]

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٤) من قصيدة دعبل المعروفة.

www.ketab.ir

وفي جنب ما أشرنا إليه من محنة الطائفيّة وموجة التكفير التي يرفع لواءها اليوم البعض من ذوي الاتّجاه البدويّ في التفكير، تنبغي الإشارة إلىٰ أنّه برغم الدائرة الواسعة من الوفاق العقائديّ والفقهيّ بين المذاهب الإسلاميّة الذي نراه أرضيّة مناسبة، وقاعدة صلبة لإقرار مبدأ التعايش السلميّ، بل التعاون والتنسيق واتّخاذ المواقف المشتركة تجاه قضايا الأُمّة المصيريّة، وما يهدّد كيانها ومبادئها ومقدّساتها من مخاطر.. برغم ذلك فإنّ دائرة الخلاف لم تكن بحدود أتباع أهل البيت عليهم السلام من جهة وأتباع مدرسة الخلفاء من جهة ثانية، ولا أنّه خلاف سياسيّ أو فكريّ شهدته الأُمّة الإسلاميّة في مرحلة من مراحل حياتها، وإنّما له من العمق ما يمتدّ إلىٰ حياة النبيّ صلى الله عليه وآله.

فقد يصوّر البعض الخلاف بين المسلمين علىٰ أنّه خلاف بين أتباع أهل البيت عليهم السلام من جهة وأتباع مدرسة الخلفاء من جهة ثانية، ليوحي أنّ جماعة المسلمين تتمثّل بأتباع المذاهب الإسلاميّة الأربعة فقط، أمّا أتباع أهل البيت عليهم السلام فجماعة خارجة عن جماعة المسلمين، في حين أنّ المذاهب الأربعة لم يقتصر الخلاف بينها علىٰ مستوىٰ الخلاف الفقهيّ ـ كما يتخيّله بعض السذّج ـ وإنّما هم يتوزّعون علىٰ مسالك فكريّة وفرق كلاميّة متعدّدة في طريقة الاستدلال علىٰ العقائد، وقد وقع الخلاف بينها في أخطر القضايا، انتهىٰ إلىٰ تكفير بعضها بعضاً، وأهمّ تلك الفرق:

١ ـ فرقة تقول بأنّ المصدر الوحيد لمعرفة العقائد هو النصّ الشرعيّ من الكتاب والسنّة، وأنّ المسائل الاعتقاديّة توقيفيّة، فلا يتجاوزون ما ورد في النصوص موضوعاً، وتعبيراً، ولا يتصدّون لشرح ما ورد فيها أيضاً، ولا لتوضيحه أو تأويله، وتسمّىٰ بـ(السلفيّة) تيمّناً بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين، أو اتّباعاً لهم في مسلكهم المدّعىٰ.

والمقصود بالسلفيّة هم أولئك الذين ظهروا في القرن الرابع الهجريّ وكانوا من الحنابلة، وزعموا أنّ جملة آرائهم تنتهي إلىٰ الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ)، ثمّ تجدّد ظهوره في القرن السابع الهجريّ علىٰ يد ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ)، وشدّد في الدعوة إليه، وأضاف إليه أموراً أُخرىٰ قد بعثت إلىٰ التفكير فيها أيّام عصره، ثمّ ظهرت تلك الآراء في الجزيرة العربيّة في القرن الثاني عشر الهجريّ علىٰ يد محمّد بن عبد الوهّاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦ هـ) إذ حمل أفكار ابن تيمية، واستطاع أن يؤسّس مذهباً سُمّي بالمذهب الوهّابيّ نسبة إليه.

٢ ـ وفرقة تقول بأنّ المصدر هو النصّ، لكن ما ورد فيه من ألفاظ وتعابير لابدّ من حملها علىٰ ظواهرها المنقولة، لا المعقولة، وتسمّىٰ بـ(الأشاعرة). وظهرت في بداية القرن الثالث الهجريّ في البصرة علىٰ يد مؤسّسها أبي الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعريّ (٢٦٠ ـ ٣٢٤ هـ).

فاعتمدت الأشعريّة في الاستدلال علىٰ العقائد مسلكين هما:

أوّلاً: مسلك النقل بما ثبت في القرآن الكريم والسنّة الشريفة عن صفات الله تعالىٰ ورسله، واليوم الآخر، والإقرار بالملائكة، وعلىٰ عبائر النصوص في الآيات الموهمة للتشبيه، فهو سبحانه قد استوىٰ علىٰ العرش كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[١]، وله وجه كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٢]، وله يدان كما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٣]، وله عين كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[٤]، لكن مع دعوىٰ: أنّ تلك الصفات لا تشابه صفات المخلوقين.

ثانياً: مسلك العقل والاحتجاج بالأدلّة العقليّة والبراهين المنطقيّة، لتؤكّد بها الاستدلال علىٰ ما جاء في القرآن والسنّة، فاتّخذت العقل خادماً لظواهر النصوص ومؤيّداً لها، مع تقديم النصّ علىٰ العقل، وعدم الأخذ بالاجتهاد أمام النصوص وإن كانت واردة عن طريق الآحاد.

٣ ـ وفرقة تقول بأنّ طريق المعرفة بالعقائد الحقّة والمسائل الكلاميّة هو العقل؛ إذ به يعرف الحقّ، ويميّز عن الباطل، ولا منافاة بين الشرع والعقل في ذلك، فالنصّ إنّما يرشد إلىٰ الحقّ الذي يدلّ عليه

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٤) سورة القمر، الآية: ١٤.

www.ketab.ir

العقل، ولو ورد ما ظاهره منافٍ لما قرّره العقل، فلابدّ من تأويل ذلك الظاهر إلىٰ ما يوافق العقل ويدركه، وتسمّىٰ بـ(المعتزلة).

ونشأت المعتزلة كفرقة كلاميّة أواخر القرن الهجريّ الأوّل أوائل القرن الثاني، وسمّوا معتزلة لاعتزال مؤسّسها واصل بن عطاء الغزال (٨٠ ـ ١٣١ هـ) مجلس الحسن البصريّ بعد خلافه معه حول حكم الفاسق بأنّه لا مؤمن ولا كافر.

وقد اختلف أتباع هذه الاتّجاهات الكلاميّة، واشتدّ الجدل والأخذ والردّ في موضوعات عقائديّة تعدّ من أُمّهات المسائل الاعتقاديّة بين المسلمين، وهي عدد أُصول العقائد في الإسلام، وكذا في صفات الله تعالىٰ وتجسّمه، وكلامه، ورؤيته، والتوسّل، والشفاعة والاستغاثة وغيرها، واختلفوا في مسألة خلق القرآن الكريم، فذهب قوم إلىٰ أنّ القرآن قديم غير مخلوق، وذهب خصومهم من المعتزلة وغيرهم إلىٰ القول بخلق القرآن الكريم، وقد دار علىٰ هذا الموضوع صراع واسع أدّىٰ إلىٰ استباحة الدماء، وارتكاب المجازر، وصدور الفتاوىٰ بالتكفير[1].

---

(١) راجع لأجل معرفة التفصيل فيما ذكرناه من المسالك الكلاميّة والاختلاف في أُمور العقائد بين المذاهب الإسلاميّة السنّيّة كتاب الملل والنحل ج ١ و ج ٢ و ج ٣، وكتاب الإلهيّات للشيخ جعفر السبحانيّ، وكتاب الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة لهاشم معروف الحسنيّ.

يقول أحمد بن حنبل: (والقرآن كلام الله تكلّم به، ليس بمخلوق، ومن زعم أنّ القرآن مخلوق فهو جهميّ كافر، ومن زعم أنّ القرآن كلام الله ووقف ولم يقل: ليس بمخلوق. فهو أخبث من قول الأوّل، ومن زعم أنّ ألفاظنا به وتلاوتنا له مخلوقة، والقرآن كلام الله فهو جهميّ، ومن لم يكفّر هؤلاء القوم فهو مثلهم)[١].

وأمّا مبدأ هذا الخلاف بين المسلمين الذي أدّىٰ تدريجاً إلىٰ ظهور المذاهب علىٰ الساحة الفكريّة والفقهيّة، وزمن انقداح شرارته الأُولىٰ، فيعود إلىٰ الصدر الأوّل والسنين المتقدّمة من تأريخ الرسالة النبويّة الشريفة، وإليك نموذجاً واحداً يدلّل علىٰ عمق ذلك الخلاف التأريخيّ الذي شقّ الأُمّة الإسلاميّة شقّين:

روي في صحيح البخاري المعترف بصحّته لديهم جميعاً نسبة الهجر إلىٰ النبيّ ﷺ في ساعة مرضه وحاشاه من ذلك، كما أُورد ذلك في صحيح مسلم أيضاً المعترف بصحّته لديهم جميعاً. ففي صحيح البخاري الحديث رقم (١١٤) بحسب تسلسل كلّ أحاديث الكتاب ـ وهو الحديث الرابع من باب كتابة العلم ـ ما يلي:

(حدّثنا يحيى بن سليمان قال: حدّثني ابن وهب قال: أخبرني

---

(١) كتاب السنّة لأحمد بن حنبل، ص ٤٩.

يونس عن ابن شهاب عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عبّاس قال: لمّا اشتدّ بالنبيّ ﷺ وجعه قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. قال عمر: إنّ النبيّ غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا، وكثر اللغط. قال: قوموا عنّي، ولا ينبغي عندي التنازع. فخرج ابن عبّاس يقول: الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله وبين كتابه).

وفي صحيح مسلم ـ باب ترك الوصيّة لمن ليس له شيء يوصي فيه ـ ما يلي:

(حدّثني محمّد بن رافع وعبد بن حُمَيْد قال عبد: أخبرنا، وقال ابن رافع: حدّثنا عبدالرزّاق، أخبرنا مَعْمَر عن الزهريّ، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، عن ابن عبّاس قال: لمّا حُضِر[1] رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطّاب، فقال النبيّ ﷺ: هلمّ أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده. فقال عمر: إنّ رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختصموا، فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلّوا بعده. ومنهم من يقول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: قوموا. قال

---

(١) أي: أصبح بحالة الاحتضار. (من المؤلّف دام ظلّه).

عبيدالله: فكان ابن عبّاس يقول: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم).

أقول: قد يأوّل هذا التعبير أحدٌ أو يعتذر عنه، فيقول: ليس معنىٰ (غلب عليه الوجع) أنّه يهجر، بل معناه: أنّ النبيّ يصعب عليه تحضير الكتابة؛ لأنّه غُلب عليه الوجع، وحسبنا كتاب الله، فاتركوه.

ولكن من حسن الحظّ أنّه ورد في نفس صحيح مسلم ما يفسّر اللغَط الذي كان بين الأصحاب بنسبة الهُجر، فقد ورد في نفس صحيح مسلم، وفي نفس الباب في الرواية المذكورة قبل هذه الرواية مباشرة ما يلي:

(حدّثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا وكيع، عن مالك بن مِغوَل، عن طلحة بن مصرِّف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس أنّه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثُمّ جعل تسيل دموعه حتّىٰ رأيت علىٰ خدّيه كأنّها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ: ائتوني بالكتف والدواة «أو اللوح والدواة» أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فقالوا: إنّ رسول الله ﷺ يهجر).

وبغضّ النظر عن هذه القرينة المفسِّرة يكون أصل الاعتذار الذي أشرنا إليه غير مسموع؛ لأنّ أصحاب الرسول جميعاً يعرفون أنّ الكتاب اقتصر علىٰ ذكر الأُمّهات، وأنّه ترك التفاصيل للسنّة، فلا معنى للحيلولة دون كتابة السنّة بحجّة أنّه حسبنا كتاب الله، أو بحجّة أنّ النبيّ ﷺ يصعب عليه تحضير الكتابة.

www.ketab.ir

وأودّ أن أختم هذه المقدّمة بمطلع قصيدة منتظمة في خطاب إلىٰ يوسف فاطمة (سلام الله عليها وعليه)، فأقول:

يا صاحب العصر أدركنا فليس لنا
وردٌ هنيء ولا عيش لنا رغدُ
طالت علينا ليالي الانتظار فهل
يا ابن الزكيّ للّيل الانتظار غدُ
فاكحل بطلعتك الغرّا لنا مقلاً
يكاد يأتي علىٰ إنسانها الرمدُ
ها نحن مرمىٰ لنبل النائبات وهل
يغني اصطبار وهىٰ من درعه الزَرَدُ[1]
فانهض فدتك بقايا أنفس ظفرت
بها النوائب لمّا خانها الجَلَدُ
هب أنّ جندك معدود فجدّك قد
لاقىٰ بسبعين جيشاً ما له عدد[2]

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) الزَرَد: حلقات من حديد كانت تنتظم في نسج ونسق معيّن في الدروع الحديديّة التي كانت تلبس في الحروب.

(٢) من قصيدة للسيّد رضا الموسويّ الهنديّ رحمه الله.

www.ketab.ir